هذا لا يدخل ضمن مبادىء الإسلام. . . ، فهدف الإسلام إدخال الأقوام الأخرى تحت لوائه ، ولكنه لا يتخذ الإكراه والقوة وسيلة لهذا ، بل يستعمل الإقناع وتقديم تعاليمه البسيطة السهلة. . .»[1] ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾.

ونختم هذا القسم عن نظرة إقبال إلى القومية العربية التي نزل فيها الذكر الحكيم ، لتلتزم بشريعة الإسلام ، وأن وجود المسلم يكمن بالشريعة وحسب ، وأن أمل الأمة العربية مرتبط بشعار التوحيد بقيادة الرسول العربي العظيم ، فيقول:

إنَّ اســـمَ محمـــدٍ الهـــادي رُوحُ الآمـــال لنهضتنـــا[2]

القسم الثالث: إقبال والأمة العربية:

كانت الأمة العربية تتبوأ مركز الصدارة في قلب إقبال ونفسه ، وكانت تحتل مكاناً مهماً وعزيزاً في عقل إقبال وفكره ، فقد أحب إقبال الأمة العربية ، وتغنى بلغتها ، وعشق أهلها ، وطرب بثقافتها وفكرها ، وافتخر بتراثها وأمجادها ، وعاش مع الأمة العربية في ماضيها الجاهلي ، وتاريخها الإسلامي الذي بلغت فيه ذروة المجد في العصور الزاهية: في عصر النبوة ، والخلافة الراشدة ، وعهد النهضة والحضارة والسيادة عند الأمويين والعباسيين.

واطلع إقبال على المآسي التاريخية التي حلت بالأمة العربية ، وتألم لما أصابها من نكبات وويلات ، بدءاً من أسبانيا والأندلس ، إلى صقيلية وتركستان ، إلى فلسطين والاستعمار الغربي للبلاد العربية ، وتفطر كبده على المعارك الطاحنة بين العرب والمستعمرين في ليبيا وفلسطين

---

(١) محمد إقبال، عزام ص/١٢٩/ ، ديوان الأسرار ص /٢٦/ .
(٢) محمد إقبال، عزام ص /٦٢/ .

ودمشق ، واكتشف بشكل مبكر التآمر الخبيث من الغرب على العرب ، مع المكيدة بمصيرهم.

وحمل إقبال هموم الأمة العربية الحاضرة ، وتألم لتراجع العرب والمسلمين عن دينهم ، وحَذّر الأمة العربية من الثقة بالغرب اللئيم المستعمر ، ووعوده الكاذبة ، وكلامه المعسول ، وناشد الأمة العربية بالوحدة ، والعودة إلى ذاتها وتراثها ودينها وعقيدتها ، وخاطب الأمراء العرب ، وناشد فيهم العقول والقلوب ، وحاول أن يوقظ بينهم الروح ، وذكرهم بعزة الآباء والأجداد ، وحرك فيهم مشاعر الاستقلال عن الغرب فكراً وعقيدة وسياسة ، وناداهم بالوحدة العربية لتكون نواة للوحدة الإسلامية.

وبكى إقبال واقع الأمة العربية ، وبثها آلامه وأحزانه ، وتطلع إليها في تحقيق آماله وأهدافه، واتخذها المثل الأعلى في حياته ، وحياة الأمم.

لقد خصص إقبال أروع قصائده ، وأبدع شعره لمخاطبة الأمة العربية ، واتخذ منه سجلاً حافلاً لفضلها ومآثرها وحضارتها ، وذكرها برسالتها في حمل الدعوة الإسلامية إلى شعوب العالم في الحاضر والمستقبل ، كما كانت في الماضي.

وهذه أمثلة وشواهد لما نقول:

العرب قبل الإسلام:

يصور الشاعر إقبال حال العالم والعرب قبل الإسلام ، ثم يشير إلى بعض النتائج التي تحققت بالبعثة الإسلامية ، والنبوة المحمدية ، والرسالة الخالدة ، فيقول:

قد كان هذا الكونُ قبلَ وجودنا ... روضاً وأزهاراً بغير شميم
والوردُ في الأكمام مجهولُ الشَّذَا ... لا يُرتجى وردٌ بغير نسيم
بل كانت الأيامُ قبلَ وجودنا ... ليلاً لظالمها وللمظلوم

لمـا أطـلّ محمـدٌ زكـتِ الـرُّبـى واخضـرَّ فـي البسـتـان كـلُّ هشيـم
وأذاعت الفردوسُ مكنون الشذا فإذا الورى في نُضرة ونعيم[1]

الـعـرب بعـد الإسـلام:

وكان إقبال ـ رحمه الله تعالى ـ يميد طرباً بما قدمه العرب إلى العالم من دين رشيد ، وعقيدة صافية ، وفكر نقي ، وثقافة غزيرة ، وعلوم جَمّة ، وتشريع حكيم ، فيقول ، ويعدّ نفسه منهم:

«من كان يهتفُ باسمِ ذاتك قبلَنا من كان يدعو الواحدَ القهارا
عبدُوا تماثيلَ الصخورِ وقدّسوا مِنْ دُونـك الأحجـارَ والأشجـارا
عبدُوا الكواكبَ والنجومَ جهالةً لـم يبلغُـوا مـن هـديهـا أنـوارا
هـل أعلـن التـوحيـدَ داعٍ قبلَنـا وهدى الشعوبَ إليك والأنظارا
كنـا نقـدم للسيـوف صـدورنَـا لـم نَخْشَ يومـاً غـاشمـاً جبـارا»

إلى آخر قصيدته العظيمة[2] «شكوى» ، التي تهز المشاعر ، وتدغدغ العواطف ، وتنشي الأرواح ، وفيها أبيات جميلة ورائعة ، أحب دائماً قراءتها ، والرجوع إليها ، «وما أحلى الرجوع إليها».

الـدولـة الـعـربيـة الإسـلاميـة:

ويفتخر إقبال بالأمة العربية التي وصلت إلى أوج العظمة في التاريخ الإسلامي القريب ، ويقول في قصيدته «إلى الأمة العربية» مخاطباً لها خطاب الابن البار لها ، والناقد البصير ، والناصح الأمين ، والمذكِّر الرشيد بأمجادها ، والمتألم لحاضرها ومآسيها ، فيقول[3]:

«أمةَ الصحراء ، يا شعبَ الخلودِ مـن سـواكـم حـلَّ أغـلال الـورى

---

(١) إقبال الشاعر ص/٢٩/ .
(٢) إقبال الشاعر ص/٢٩/ .
(٣) إقبال الشاعر ص/٥٧/ .

أيُّ داع قبلكم في ذا الوجود صاحَ لا كسرى هنا لا قيصرا
من سواكم من حديثٍ أو قديمٍ أطلع القرآن صُبحاً للرشاد
هاتفاً في مسمع الكون العظيم ليس غيرُ الله رباً للعباد

إلى أن يقول:

«لا تقل أينَ ابتكارُ المسلمين وسَلِ الحمراءَ واشهدْ حُسْنَ تاج
دولةٌ سار ملوكُ العالمين نحوَها طوعاً يؤدون الخراج
دولةٌ تقرأ في آياتِها مظهرَ العزة ، والملكِ «الحصين»

ويفتخر إقبال أيضاً بدولة العرب الإسلامية ، التي سطعت بنورها على البشرية ، وغطت بأروقتها معظم العالم، ويعجب بآثار العرب في الأندلس، ويُذكِّر بأمجادهم ، فيقول في قصيدة بعنوان «صقيلية»[1]:

وللعُرْبِ كانت هنا دولةٌ تَنَالُ براحتِها الفَرْقدا
عمالقةُ البيد خاضوا البحارَ فكانت لأسطولهم ملعبا
قصورُ الأباطرة المالكي ن دانت لتوحيدهم سُجدا
كأنّ البروقَ بأسيافهم بَنَتْ عُشَّها قبلَ سِرب القطا
مبادئُهم أنشأت عالَماً قويَّ البناء سنيَّ الحلى
بصيحتهم حين دوّى الأذانُ أفقات شعوبٌ طواها الكرى
فنادوا ألا أيها الكون قُمْ فهبَّ ، وقد كان رهن البلى
أناروا الشعوب بتحريرها وبالعلم ، فهو سبيل الهدى
تُغني العصورُ بآثارهم فمنها لكل زمان صدى
حضارة علم ، وآياتُ فنٍّ تفوق البيان وتعي النُّهى
يكاد بقصة أمجادهم يُحدثني الصخرُ عما رأى

وأراني مضطراً للاختصار ، مع الاقتصار على بعض أبيات القصائد ،

---

(١) إقبال الشاعر ص/٦٣/ .

وبمقدار سعادتي وغبطتي ونشوتي بعرض نماذج من القصيدة ، كنت بمثل هذا المقدار أتألم على قطعها وعدم المتابعة في قراءتها وعرضها .

ويبين العلامة إقبال أن الروح المتدفقة للأمة العربية ، والغذاء الفعال لها ، والترياق الشافي لأمراضها هو في الإسلام ، ومن هنا يشير إلى أصنام الجاهلية ، وما أورثته من وبال ، ويشير إلى فضل الله عليهم بالإسلام حتى بلغوا الثريا ، وأن الواقع الأليم للعرب وللمسلمين اليوم يقترن مع الداء الوبيل لأجدادهم في الجاهلية بالأصنام والتماثيل ، فيصور هذا المعنى ، ويقول في قصيدته «جواب شكوى»[1]:

وأخضعنا لملكِهم الثريا ... وشيّدنا النجوم لهم حصونا
ولكن ألحدوا في خير دين ... بنى في الشمس ملكَ الأولينا
تراث محمد قد أهملوه ... فعاشوا في الخلائق مهمَلينا
تولى هادمو الأصنام قُدْماً ... فعاد لها أولئك يصنَعُونا
أباهم كان إبراهيمُ ، لكن ... أرى أمثال آزرَ في البنينا

العرب قدوة الأمم:

ودرس إقبال ـ رحمه الله ـ التاريخ ، فوجد أن العرب ، وقادة الأمة العربية ، وعلماءها وأئمتها ، ومفكريها ، هم القدوة الصالحة للمسلم في السلوك ، وهم المثل الأعلى للاقتداء بدءاً من محمد بن عبد الله ، رسول الله وخاتم النبيين ، إلى أبي بكر وعمر وعلي ، والحسن والحسين ، ويجعل من فاطمة الزهراء بنت المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وزوجة الإمام الكرار ، وأم الحسن والحسين ، يجعل منها القدوة الصالحة العاملة للمرأة ، سواء كانت بنتاً برّة ، وزوجاً وفية مخلصة ، وأماً رؤوفاً حنونة[2] ، فيقول في قصيدته «إلى الأمة

---

(١) إقبال الشاعر ص/ ٥٠/ ، نداء إقبال ص/ ١٥٢/ .
(٢) انظر: ديوان الأسرار والرموز ص/ ١٣٨ ، ١٤٠/ .

العربية»[1] ، مبيناً مكانة الرسول ﷺ وجهاده في إقامة الحق ، ونشر النور، وتبليغ الهدى للبشرية:

وابلٌ من فيض أميّ اللقب ... الكريم الفردِ في الكرامِ
أنبت الزهرَ بصحراءِ العَرَب ... بل سقى في القفرِ بستان الوئام
منح الإنسانَ مُلكَ العالمِ ... بعد ما علّمه النهجَ الرشيد
كلُّ غصنٍ كان في يُبس العَدَم ... بِنداء اخْضَرَّ حتى أثمرا

ثم قال:

لا تسلني الآن عن ثورته ... إنّها ميدانُ بدرٍ وحنين
في أبي بكر وفي صاحبه ... في علي ثم في صبر الحسين
سيفِ أيوبٍ وتقوى بايزيد ... فيهما مفتاح كنز العالمين

ويفتخر الشاعر إقبال بانتمائه للرسول العربي ، فيقول:

«لا تعجبوا إن اقتنصتُ النجوم ، وانقادت لي الصعابُ ، فانني من عبيد ذلك السيد العظيم ، الذي تشرَّفَتْ بوطأته الحصباءُ ، فصارت أعلى قدراً من النجوم ، وجرى في أثره الغبارُ ، فصارَ أعبقَ من العبير»[2].

كما يفتخر إقبال بانتسابه للأمة العربية والإسلامية التي أنجبت الرجال والعلماء والمفكرين فيقول[3]:

«أنا مَنْ في ظلمةِ الليل أنار ... في طريق العلة البيضَا غُبار
أمةٌ دوَّت بآفاق الورى ... لحنُها في القلب ناراً قد سرى
ذرةً ألقت وشمساً حصدت ... ألف رومي ، وعطّار جنت

ويشير إلى العلامة جلال الدين الرومي ، وفريد الدين العطار.

---

(١) إقبال الشاعر ص/٥٧/ .
(٢) نداء إقبال ص/١٣٩/ ، وانظر: محمد إقبال ، عزام ص/٧١/ .
(٣) محمد إقبال ، عزام ص/٧١/ .

النكبات التاريخية للعرب:

ويتألم العلامة إقبال على تراجع العرب والمسلمين عن دينهم وحضارتهم وتقدمهم وعلو شأنهم وعن رسالتهم للعالم، فيقول في قصيدته الرائعة «شكوى»[1]:

قد هبَّت الأصنامُ من بعد البِلى ... واستيقظت من قبلِ نفخِ الصورِ
والكعبةُ العُليا توارَىٰ أهلُها ... فكأنهم موتىٰ لغيرِ نشور
وقوافل الصحراءِ ضَلَّ حُداتُها ... وغَدت منازلُها ظِلال قبور

* * *

(١) محمد إقبال، عزام ص/ ٧٢/.